الفصل الرابع

نشـأة الشخصية ونموهـا أوتطـورهـا

١ ـ الدوافع والليبيدو .

٢ ـ اتجاهات بديلة حول الدوافع الإنسانية الأساسية : يونغ وآدلر .

٣ ـ قضايا رئيسية بارزة في نمو الشخصية وتطورها .

٤ ـ مراحل النمو النفسي ـ الجنسي عند فرويد .

٥ ـ مراحـل النمـو النفسـي ـ الاجتمـاعي الثمانيـة عنـد أريكسون .

٦ ـ العلاقات مع الموضوع .

نشـأة الشخصيـة ونموهـا

سنناقش في هذا الفصل نمو الشخصية منذ الولادة وحتى الشيخوخة. وتتميز استراتيجية التحليل النفسي أكثر من غيرها بشرحها المفصل لنمو الشخصية وتطورها وخاصة في مرحلة الطفولة. وسنبدأ الحديث عن الدافعية بسبب أهميتها في عملية نمو الشخصية وتطورها من وجهة نظر التحليل النفسي.

١ ـ الدوافع والليبيدو
Drives and libido

الدافع في التحليل النفسي هو طاقة نفسية داخلية. عندما تعمل فإنها تنتج حالة من الإثارة والتوتر. لقد أمضى فرويد أكثر من ٢٠ سنة في تطوير نظريته هذه في ذلك الوقت كان قد عدل العديد من مفاهيمه ونقحها بما في ذلك نظريته عن الدافعية. ففي نظريته المبكرة ، قال بوجود فئتين من الدوافع: الأولى ، وهي دافعية الحفاظ على الذات (البقاء). وهذه الفئة من الدوافع ، تشبع الحاجات الجسدية بما فيها من جوع وعطش وتخلص من المواد الضارة ، وعندما لا يتم إشباعها ، فإن العضوية تتعرض لحالة من التوتر. مثلاً ، عندما نحبس تنفسنا (والتنفس من الدوافع الأولية هذه) فإننا نشعر بضيق في صدرنا. وعندما لا نأكل في بعض الأوقات فإننا نشعر

بالجوع. تحت بعض الشروط غير العادية ، يصبح الدافع كالجوع مثلاً ، قوياً بشكل غير طبيعي ويكون له تأثير قوي في السلوك ففي اكتوبر عام ١٩٧٢ ، اصطدمت الطائرة الأوروغوية التي تقل عدداً من المسافرين في منطقة شمالية باردة ، حيث استسلم عدد من الأحياء لحالة اليأس. وقد كان هناك ١٦ شخص عاشوا لمدة ٧٣ يوماً في جو بارد تحت الصفر ، ولا يوجد معهم طعام يكفي إلا لمدة عشرين يوماً. فالأحياء منهم استمروا بالحياة وعاشوا وهم يأكلون أجـزاءً من أجساد الآخرين الذي ماتوا. لقد مثلت تلك الحادثة في فيلم يحمل اسم الحياة أو البقاء survive والفئة الثانية من الدوافع وهي الجنسية وقد استخدم فرويد الجنس ليعني به كل الأفعال والأفكار التي تجلب اللذة بما فيها الإثارة الجنسية Eroticism والطاقة النفسية للدوافع الجنسية تسمى الليبيدو. والليبيدو أيضاً هو الطاقة لكل فعالية عقلية بما فيها التفكير ، والإدراك ، والتخيل والتذكر وحل المشكلات.

لقد اعتقد فرويد في البداية أن كل الدافعية (الدوافع) الإنسانية هي جنسية ، وبكلمة أخرى ، الإنسان يتصرف أو يسلك بطريقة تجلب له اللذة ، والمجتمعات تضع العراقيل أمام الإرضاء الكامل لهذه الدوافع. وبشكل موجز نقول ، إن نظرية فرويد في الشخصية تبحث في كيفية معالجتنا أو تعاملنا مع الدوافع الجنسية في علاقتنا بالمجتمع ، والذي عادة ما يمنع التعبير المباشر لمثل تلك الدوافع. وكل شخصية فردية هي نتيجة توفيق أو تسوية فردية مميزة بين إشباع الدوافع الجنسية والانصياع لتقييدات المجتمع society restraints.

في عام ١٩٢٠ ، عدل فرويد نظريته في الدافعية ونقحها ـ حيث أدخل مفهوم العدوان وسمى هذا الدافع العدواني بغريزة الموت أو الثاناتوث thanatos مقابل دافع الحياة أوالإيروس Eros إن الدافع العدواني يمثل المظاهر التخريبية للسلوك البشري وله جانبه الخاص في الطاقة النفسية

على كلٍ ، فإن فرويد لم يعط اسماً نوعياً محدداً لهذه الطاقة . إن نمو دافع العدوان ووظيفته متوازية مع الدافع الجنسي ، إن نظريته عن الدوافع تفترض أن دوافع الجنس والعدوان متضمنة في دافعية كل سلوك (إن استعمال كلمة Fuck للتعبير عن الغضب في أمريكا حالياً ، هو مثال للعلاقة الوثيقة للدوافع الجنسية والعدوانية). على كل إن مشاركة نوعي الدوافع ليست متوازية بالضرورة. ولم يصف فرويد الدافع نحو العدوان بوضوح وتفصيل كما وصف الدافع الجنسي ، وبغض النظر عن تقييمه بأن الدافعية الإنسانية أكثر من جنسية ، غالباً ما وصف فرويد دافع الجنس بأنه هو المسيطر أو السائد.

الديناميـة النفسيـة :

إن جهاز الطاقة الفرويدي هو جهاز مغلق لا يمكن أن تضاف إليه طاقة أخرىٰ ، ولا يمكن لطاقة موجودة أن تخرج (تهرب) أو أو تُستَنفذ كاملاً. وكل شخص عنده كمية ثابتة من الطاقة النفسية الموظفة والمكرسة لأشكال السوك المختلفة. وإن توظيف الطاقة النفسية يُعرف بتركيز أو حشد الطاقة Cathexis ، والفعل أو السلوك عملية توظيف لهذه الطاقة النفسية ، والتي لا تتعلق بأناس أو فعاليات معينة وإنما في العقل ، أو النفس. إن من الممكن أن تتركز أو (تُحشد) من أجل التمثلات العقلية على شكل أفكار وتخيلات وأحلام يقظة. إن قوة هذا التركيز أو مجموع الطاقة التي وُظفت تشير إلى أهمية بأورة الطاقة وتركيزها. وهناك قدر محدود من الطاقة النفسية ، فكما كانت كمية الطاقة الموجودة أثناء الحشد والتركيز كبيرة كلما كانت الطاقة النفسية المتاحة لعملية تركيز أخرى أو فعاليات عقلية أخرى ضعيفة ، فالشاب الذي يفكر كثيراً بصديقته يعاني صعوبة القيام بأعمال أخرى كواجبه الدراسي ، ولكن هذا الحشر ليس دائماً. فعندما نلفت انتباهنا نحو شخص أو نشاط ما ، فإن الطاقة تنتقل لمركز اهتمامنا الجديد. ربما ندهش لماذا بعض الناس يملكون طاقة نفسية أكبر من

غيرهم؟ إن كل شخص يملك كمية ثابتة منها ، ولكن توجد بعض التغيُرات أو الحدود التي تعيق أفكار ومشاعر البعض، إن مفهوم الطاقة النفسية لا يمكن أبداً تقدير كميته! لشرح طبيعة الطاقة النفسية وكيفية عملها ، فقد استخدم فرويد المتشابهات Analogies (ويجب جمعها مع الوصف العملي) ، إن ضغط الطاقة النفسية يشبه في عمله وتكوينه عمل ضغط الماء في المواسير أو الأنابيب عندما لا يكون هناك أيّ صمام خارجي مفتوحاً ، فإذا كان هناك زيادة في الضغط ولا يوجد مخرج (مَنْفَذ Outlet) لهذا الضغط ، فإن الصمام سوف ينفجر إنه سينفجر في أضعف مكان له .

إن تخفيف التوتر النفسي يكون ضرورياً من أجل وظيفة الفرد وسلوكه ، إنه ينتج أيضاً تجارب وخبرات باعثة على اللذة ، لأن التوتر والضغط يكون مؤلماً ومزعجاً ، إن خفض التوتر سُمي بشكل طبيعي بمبدأ اللذة Pleasure Principle ، ربما لا يتاح للطاقة النفسية للفرد أن تتحول إلى طرق مقبولة اجتماعياً أو طبيعية ، ففي هذه الحالة ، سيزيد الضغط ، وأخيراً ـ كما في صمام الماء ـ سيخرج انفجاره بعنف في أضعف نقاط الشخصية . تذكر أن عند انفجار (الطاقة النفسية) ، فإن ذلك لا يعني أنه يحدث بشكل منحرف وفاسق ، إن هذا غير ممكن في جهاز الطاقة المغلق .

٢ ـ اتجاهات بديلة حول الدوافع الإنسانية : يونغ وآدلر

لقد تعرض عرض فرويد لدافع الجنس للنقد والرفض من قبل العديد من علماء النفس ، وقد كان ذلك من قبل اثنين من رفاقه ومريديه الأوائل في بداية هذا القرن ، وهما كارل يونغ (١٨٧٥ ـ ١٩٦١) والفريد آدلر (١٨٧٠ ـ ١٩٣٧) بالنسبة ليونغ ، فإنه يعتبر الدافع الجنسي مصدراً هاماً في الدافعية الإنسانية ، ولكنه لا يعتقد أنه المصدر الوحيد . أما رفض آدلر لأهمية الجنس فإنها أشد من ذلك ، وذلك لأنه يعتقد أن الدافع الإنساني

الرئيسي هو جهد الإنسان من أجل التفوق وذلك كتعويض عن الشعور بالنقص Feelings of Imferiority.

لقد كانت حياة آدلر الشخصية هي أساس ومصدر أفكاره ونظريته ، فعندما كان طفلاً ، كان مريضاً وضعيفاً بسبب مرض الكساح الذي منعه من المشاركة في الفعاليات والأنشطة الجسدية مع زملائه ، وفي سنواته اللاحقة استدعى بذاكرته شعوره بالنقص: «إنني أتذكر عندما كنت مصاباً بالكساح حيث كنت أنا وأخي الذي يتمتع بصحة جيدة أمامي ، أنه استطاع الحركة والقفز بنشاط ، أما أنا فإن أية حركة كانت عملاً صعباً ومزعجاً» ، (Bottome 1957) وقد داهمته سيارة في صباه مرتين في شوارع فيينا (Orgler 1963) وكنتائج لهذه الأحداث فقد قرر أن يكون طبيباً ليستطيع مواجهة العجز والموت. وقد مارس الطب العام قبل توجهه إلى الطب النفسي ، وكتابه المعنون «دراسة النقص العضوي وتعويضه الجسدي» في عام ١٩٠٧ يمثل نظريته الآسرة. ويعلن آدلر أن الناس يواجهون هذا النقص بالتعويض أو المبالغة في التعويض orercompensating مثلاً ، الرجل الذي يولد بأرجل ضعيفة قد يقضي وقتاً طويلاً وهو يحاول تنمية عضلات رجليه (كتعويض) وقد يصبح رياضياً للمسافات الطويلة (مبالغة في التعويض).

عندما بدأ آدلر ممارسته للطب النفسي ، وسع نظريته لتشمل جميع مظاهر النقص. وتتضمن هذه المشاعر الناتجة عن أشكال الضعف الشخصي والنفسي ، إن شعور الفرد بالنقص الذي يكون عضوياً ، أو نفسياً أو اجتماعياً ، يقوده للجهد والنزوع نحو التفوق كشكل من أشكال التعويض ويعتقد آدلر أن وجود هاتين القوتين أو الدافعين ـ الحاجة للتغلب على النقص والرغبة في التفوق ـ هي طبيعية عند كل إنسان إنها تمثل النزعات الدافعية الأساسية عند الإنسان. وفي النمو الطبيعي فإن سعي الفرد للتفوق تعوّض عن مشاعر النقص.

فعندما يعيش الفرد وفقاً لنمو الحياة الجديد الذي يمارس فيه التفوق ، تكون كافة مشاعر النقص التي استمرت في الطفولة المبكرة قد نُسيت. (هنا يحدث تطابق بين نظرة آدلر التي تقول إن الراشدين لا يعون مشاعر النقص في مراحل طفولتهم ، ونظرة فرويد بأن الراشدين لا يعون جنسيتهم الطفولية) وعندما تصبح مشاعرُ النقص وسعيُ الفرد للتفوق مبالغاً فيها أو مضخمة exaggerated فسيحدث السلوك غير السوي والعصاب neurosis إن عقدة النقص Inferiority complex تمثل عند آدلر ردود الفعل العصابية المضخمة والمبالغ فيها.

هناك محللون نفسيون آخرون يشددون على دوافع أخرى غير جنسية. وكثيرون يركزون على العوامل الاجتماعية في الشخصية وسوف نشرحها لاحقاً.

٣ ـ قضايا بارزة ورئيسية في نظرية نمو الشخصية

إن تحديد نمو الشخصية في نظرية التحليل النفسي ، يعتبر موضوعاً هاماً ، كما أن أكثر المحللين النفسيين يقسمون نمو الشخصية إلى عدة مراحل متميزة ومنفصلة ، وتتميز بالشمولية والانطباق على جميع الناس. ولكن هناك جدال حول عدد ومحتويات هذه المراحل.

أهمية العوامل البيولوجية مقابل الاجتماعية: أحد مواضيع الجدل تتركز حول دور العوامل البيولوجية مقابل العوامل الاجتماعية في النمو. يعتقد فرويد أن العوامل البيولوجية لها التأثير الأقوى ، وقد وضع مراحل النمو استناداً إلى محدداتها البيولوجية والعضوية ولكن أكثر المحللين النفسيين المحدثين يركزون على دور العوامل الاجتماعية كما أنهم يقللون من دور البيولوجية. ولذلك فإن مراحل نمو الشخصية عندهم تعتمد بشكل أساسي على الظاهرة الاجتماعية.

دور الخبرات الأولى: إن الموضوعات التي تثير الجدل تمتد لتشمل

تحديد نوع الخبرات الأولى التي تحدد شخصية الراشد. إن كل المحللين النفسيين يعتبرون الخبرات الطفولية المبكرة مهمة. ولكن فرويد يعتقد أن شخصية الراشد قد ثبتت نسبياً في الخامسة من العمر الفرويديون الجدد يوافقون على تأثير خبرات الطفولة في تكوين الشخصية لاحقاً، إلا أنهم يقولون بأن الخبرات اللاحقة أيضاً لها أهميتها وتأثيرها، وبذلك فهم يطرحون أسئلة حول متى وكيف تحدث التغيرات الشخصية الأساسية بعد مرحلة الطفولة؟

٤ ـ مراحل النمو النفسي ـ الجنسي عند فرويد

Freud stages of Psychosexual Develepment

في أوقات محددة من سياق النمو والتطور، فإن إحدى المناطق الجسدية ـ خاصة الفم، الشرج، المنطقة التناسلية ـ تسيطر كمنطقة مثيرة جنسياً، منطقة لها حساسية خاصة للإثارة الجنسية وقد سميت مراحل النمو عند فرويد بـ النفسية ـ الجنسية Psychosexual لأنها تسعى لإرضاء الدافع أو اللذة Pleasure الجنسية.

ففي إحدى مراحل النمو النفسي الجنسي تكون الطاقة الليبيدية عند الفرد موظفة باتجاه المنطقة الحساسة جنسياً وتبدو هي السائدة. والتطور باتجاه المرحلة التالية يتكون بحيث تتحرر الطاقة الجنسية (الليبيدو) من منطقة الإثارة السابقة وتوظف في منطقة إثارة جنسية خاصة بالمرحلة التالية وهذا ضروري لأن كل فرد يملك كمية ثابتة من الطاقة.

إن القدرة على فعل طاقة الليبيدو من مرحلة لأخرى يعتمد على نجاح الفرد في كيفية حل الصراع المرتبط بكل مرحلة نفسية جنسية والصراع دائماً يكون بين التعبير الحر للنزعات البيولوجية وتقييدات المجتمع والوالدين وربما يواجه الفرد صعوبة عند الانتقال من مرحلة والدخول في الأخرى، وذلك لسببين: الإحباط Frustration، والتدليل الزائد أو

الإفراط بالتساهل Overmdulegence وسواء لم يتم إشباع الحاجات المرتبطة بمرحلة نمو جنسية ما (إحباط) أو تم إشباعها بصورة جيدة أو مفرطة ، فإن الشخص يقاوم خروجه من هذه المرحلة النمائية (تدليل زائد) وكلتا المشكلتين تنشأ بسبب التثبيت Fixation وكلما كان هناك صعوبة عند الفرد كل الصراع ، فإنه يزيد بقاء الطاقة مثبتة بتلك المرحلة النمائية ، أما إذا كانت نسبة الليبيدو المثبتة في مرحلة نمو معينة صغيرةً ، فإن آثار الطرق السابقة لعملية الإشباع تظهر في أشكال السلوك اللاحق . على كلٍ ، فإن الجزء الهام من الطاقة قد يكون مثبتاً في مرحلة باكرة ، وفي هذه الحالة يسيطر على شخصية الفرد طرائق الإشباع التي استخدمت في تلك المرحلة. ونتيجة لذلك ينمو الفرد باتجاه شخصية الراشد (أو خلق الراشد) الذي يعكس أشكال الصراع التي حلها بصورة ضعيفة. لقد أشار فرويد إلى أن أنماط الخُلُق (الطبع) المحددة تنتج من الطاقة الجنسية (الليبيدو) المثبتة Fixated في كل مرحلة من مراحل النمو النفسي الجنسي. ويبين التحليل النفسي أن تلك الدوافع والنزعات قد يتم التعبير عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وفوق ذلك فإن فرويد يؤكد الصيغة التالية لكيفية نمو الخُلق خارج نطاق الغرائز والنزعات «إن سمات الخلق (الطبع) المستمرة تكون امتداداً للغرائز الأصلية أو إعلاء وتسامياً (مقبولاً اجتماعياً) لهذه الدوافع والنزعات أو رد معاكس لها (سلوك مناهض للدافع والغريزة) يناقضها». أما مراحل النمو النفسي والجنسي فهي التالية :

١ ـ المرحلة الفمية Oral Stage

في السنة الأولى من الحياة يمثل الفم المصدر البارز لخفض التوتر (الطعام) واللذة (المص). ويكون الطفل في هذه المرحلة التي تُسمىٰ المرحلة الفمية ، حيث تتركز الطاقة الجنسية (الليبيدو) في نشاط الفم . والفطام Weaning يعتبر الصراع العصيب للمرحلة الفمية. وكلما كان هناك صعوبة بالنسبة للطفل في ترك ثدي أمه أو الزجاجة وما يرافقها من لذة المص ، كلما زاد تثبيت الليبيدو في هذا المرحلة. وقد ركز فرويد

على العواقب البيولوجية الناتجة عن هذه المرحلة. بينما قلل الفرويديون الجدد هذا التأكيد، وقد كتب ستراب (١٩٦٧) strupp «أن النقطة المركزية لتنظيم شخصية الطفل في هذه المرحلة هي ليست بالضرورة الفم وما يرافقه، ولكن العمليات الكاملة لعدم النضج، والاعتمادية، والرغبة بالأمومة، واللذة بالحمل والتمتع بالاتصال والدفء المرافق».

لقد قسم كارل إبراهام Karl Abraham (١٩٢٧) المرحلة الفمية إلى مرحلتين. المرحلة المبكرة، وهي الإثارة الجنسية الفمية oral eroticism وتتميز بلذة المص أو أخذ أشياء ووضعها في الفم (اندماج فموي) oral incorporation والمرحلة اللاحقة، وهي السادية الفموية oral sadism وتبدأ عندما تنشأ الأسنان وتمثل نمو الدافع العدواني ويصبح الطفل قادراً على العض والتصرف بعدوانية وتخريب.

الخلق أو الطبع الفموي: the oral character:

يُنتج التثبيت في المرحلة الفمية خلقاً (طبعاً) فموياً (إبراهام ١٩٢٧) إن من الصعب، على كلٍ، الحديث بدقة عمن سيكون عليه الشخص ولكن ذلك هو ما يملكه من سمات. إن المجموعة النوعية المحددة للسمات تعتمد على عاملين: الأول، فيما إذا كان التثبيت Fixation عند الشخص قد حدث في مرحلة الإثارة الفمية أو المرحلة السادية الفمية، والثاني، فيما إذا كان التثبيت عائداً أو مشيراً للإحباط أو الإفراط بالتساهل والتدليل إن من الممكن وضع قائمة بصفات الخلق الفموي:

١ ـ انشغال مسبق بقضايا الأخذ والعطاء.

٢ ـ اهتمامات حول الاستقلالية والفعالية مقابل السلبية.

٣ ـ اتجاهات خاصة حول القرب والبعد من الآخرين العزلة (أن يبقى وحيداً) مقابل الاندماج والتفاعل مع الجماعة والآخرين.

٤ ـ التطرف في التفاؤل أو التشاؤم.

٥ ـ تناقض وجداني غير طبيعي(حقيقة خاصة عن الخلق السادي الفموي).

٦ ـ الانفتاح للتجارب والأفكار الإبداعية ، والتي تتضمن زيادة حب الاستطلاع والاهتمام بالبحث العلمي والطبيعة.

٧ ـ عدم التحمل ، والتهور والسرعة ، والانتظار حتى «يزوَّد» بالأشياء والأحداث.

٨ ـ الاستعمال المستمر للقنوات الفمية للاشباع أو للتعامل مع الإحباط مثل: الإفراط في الطعام ، أو عدم تناول الطعام الكافي ، أو التدخين وأحاديث كثيرة (فيشر وجرينبرغ ١٩٧٧) كيف يمكن لإحدى هذه الصفات أن تبدو مختلفة وتظهر بأشكال متنوعة رغم أن منشأها ومصدرها محدد وهو التثبيت؟ لنأخذ على ذلك مثلاً ، لتوضيح ذلك ، وهو التفاؤل ـ التشاؤم. فالناس الذين تعرضوا للإحباط يتوقعون الفشل وبالتالي التشاؤم. وأولئك الذين أشبعت حاجاتهم وتدلَّلوا كثيراً فسيتوقعون النجاح وبالتالي التفاؤل بسبب تلبية حاجاتهم ، إن الشكل المحدد للتفاؤل أو التشاؤم يمكن أن يكون فعالاً (إيجابياً) أو سلبياً بوضوح. وهذا يعتمد على ما إذا كان الفرد قد مرَّ بحالة تثبيت Fixation لمرحلة مبكرة (مرحلة الإثارة الجنسية) أو لمرحلة لاحقة (المرحلة السادية) من مراحل النمو. إن النتائج الأربع المحتملة قد مُثلت بوضوح في الجدول ٤ ـ ١.

زمن التثبيت	سبب التثبيت	
	التدليل الزائد	الإحباط
الشبقية الجنسية الفمية (المبكرة)	ـ التفاؤل السلبي: الاعتقاد بأن العالم دائماً يزود لإشباع حاجات الفرد وليس فهم ماذا يفعل الفرد. مثال: الطالب الذي لا يدرس لأنه يعتقد بأن الامتحانات ستكون سهلة، والمعلم متفهماً...	التشاؤم السلبي: التعرف وكأن لا شيئاً يمكن فعله لتحسين حياة الفرد. مثال: الطالب لا يدرس لأنه يعتقد عدم الفائدة من الدراسة .
السادية الفمية (اللاحقة)	ـ التفاؤل الإيجابي: التحدث بعدوانية في المحيط الذي يزود بإشباع الحاجات. مثال: يدرس الطالب بجدية ويبحث عن المساعدة الإضافية ويقرأ كتباً إضافية....	التشاؤم الإيجابي: التصرف بعدوانية وحنق اتجاه العالم والمحيط المؤلم والقاسي. مثال: الطالب يخصص وقتاً لنقد المعلمين، الامتحانات الصفوف، والعلامات...

الجدول ٤ ـ ١: نمو التفاؤل ـ التشاؤم وتطوره كسمة من سمات الخلق الفمي

البحوث التي أجريت على الخلق أو الطبع الفمي:

Research on the oral character

لقد بينت البحوث العلمية أن لمفهوم الخلق الفمي بعض الصحة والصدق. حيث أن العديد من الدراسات تشير إلى أن السمات التي أفترض أنها تصف الخلق الفمي ـ وخاصة الاتكالية والتشاؤمية ـ غالباً ما تكون مترابطة. فقد ربط جوسيب ماسلينغ J.Masling ورفاقه (١٩٨٥) العديد من أشكال السلوك بالفمية ، وقاسها استناداً إلى استجابات المفحوصين لاختبار بقع الحبر لرورشاخ (وبقع الحبر هي من التقنيات الإسقاطية لتشخيص الشخصية وقياسها حيث يصف المفحوص ما يراه في

الأشكال الغامضة للصدر). ومن الاستجابات التي تعبر عن سلوك الاعتماد أو الاتكال الفمي ما يظهر في الجدول ٤ ـ٢ .

الفئة	عينة من الاستجابات
الطعام والشراب	الحليب ــ الويسكي ــ المواد الزيتية...
الذين يقدمون الطعام	الخادم ــ الساقي (في الحانة)...
أعضاء خاصة بالتغذية	الفم ــ المعدة ــ الشفاه ــ الأسنان...
أساليب فمية	السيجارة ــ البايب ــ أحمر الشفاه...
الحاضن والمربي	المسيح ــ الأم ــ الأب ــ الطبيب...
موضوعات حسنة الحظ	عظم الترقوة (في الطيور) ــ رف بأربع قوائم...
نشاط فمي	عملية الأكل ــ التحدث ــ الغناء ــ التقبيل...
إنكار للحواس الفمية ومدركاتها	بدون فم ــ عدم الحمل ــ امرأة بلا ثدي...

الجدول ٤ ــ ٢: أمثلة عن الاستجابات التي تظهر التثبيت باستخدام بقع الحبر

إن إحدى النتائج المباشرة للنظرية ، هي أن الناس الذين تثبتوا (تعلقوا) بالمرحلة الفمية يميلون للشرب والأكل بشره. وهناك علاقة إيجابية قد وجدت بين المفحوصين الذين أبدوا تخيلات وتصورات فمية (في اختبار بقع الرورشاخ) والكحولية والسمنة Obesity ، (Bertrand, masling 1969; Masling, rabei 1967).

إن الاعتمادية أو الاتكالية Dependency هي السمة المركزية للخلق أو الطبع الفمي فطلاب الجامعة الذين يعتمدون على غيرهم في اتخاذ القرارات حول موضوعات غير واضحة أكثر من ثقتهم بأحكامهم وقراراتهم ، يظهرون تخيلاً فمياً في بقع الحبر لرورشاخ ، أكثر من الطلاب الذين يعتمدون على أنفسهم في إدراكهم للأوضاع والمواقف المختلفة (Masling, weiss, Rothschild 1968) . إن الإذعان للقوانين إشارة أخرى للاعتماد على الآخرين من أجل الاستحسان والتأييد. وهذا النزوع ظهر في دراستين ، كلتاهما وجدت ترابطاً إيجابياً بين الفمية والطاعة أو الخضوع مع مشاركة البحث من قبل طلاب يدرسون علم

النفس (Bornestien, masling 1985) فالطلاب الذين أنهوا الفصل الأول (المشاركة بالبحث) قد أظهروا إجابات تعبر عن المرحلة الفمية أكثر بنسبة ذات دلالة إحصائية من الطلاب الذين شاركوا خلال النصف الثاني عند تطبيق اختبار الرورشاخ. فالمشاركون في النصف الأول أخذوا كمتأهبين للإذعان والطاعة. إن الناس الذين يركزون على الفم وعمليات الاندماج خلال الإسقاطات المختلفة ، يظهرون دافعية خاصة للتقرب والدعم والمساندة من الآخرين (Fisher, Greenberg 1977) . هذه وغيرها من النتائج ، تدعم مفهوم الخلق الفمي Oral charater . على كلٍ هناك براهين قليلة تبين أن نمط الخلق أو الطبع character type ينشأ من التثبيت في المرحلة الفمية.

إضافات الفرويدية الجديدة على المرحلة الفمية:

يعتقد إيريك فروم (١٩٠٠ ـ ١٩٨٠) أن أنماط الخلق أو الطبع character types تنمو من خلال تفاعل الأطفال مع والديهم وفروم (١٩٤٧) ـ مثل إبراهام Abraham ، يميز بين نمطين للمرحلة الفمية الأساسية. إنه يقول بنظرية تبين أن الناس الذين ينشؤون في بيئات تنمي اتجاه الفرد لتوقع التلقي والاستحواذ واستقبال الأشياء يصبح شخصية استحواذية ذات طبع أو خلق متلقي استحواذي Receptive character (وهذه تماثل الشخصية الشبقية الفمية عند إبراهام). وذلك لأن المطالب في المنزل تم التعامل معها على شكل تلقي واستقبال صداقة ولذة. وعلى العكس عندما تكون ظروف المنزل محبطة ، فإن الأطفال ينمون اتجاهات الأخذ والاستغلال ، وأن أهم مصدر للأمن يأتي من خلال استغلالهم للآخرين (Tompson 1957) ويصبح هؤلاء شخصيات استغلالية ذات طبع أو خلق استغلالي Exploitative character (وهذه تماثل الشخصية السادية الفمية عند إبراهام). ونفس المعطيات هنا ـ نمطان متميزان للشخصية ـ تم تفسيرهما بطرق مختلفة.

هناك إضافة أخرى للعقيدة الفرويدية الأساسية حول الشخصية والخلق الفموي تحديداً ، ثم من قبل هاري سوليفان (١٨٩٢ ـ ١٩٤٩) الذي شدد على المظاهر الشخصية للنمو. بالنسبة لسوليفان ، فإنه يعتبر أن أهم المظاهر الحرجة في السنة الأولى هي التفاعل الاجتماعي بين الطفل وأمه. وهذا يتضمن تعلم الطفل تمييز وتقييم انفعالاتها. هذه القدرة على «قراءة» مشاعر الأم هي الطراز الأصلي Protoype لتفهم السلوك والتنبؤ به على نحو دقيق. لقد تلقت هذه الفكرة دعماً قوياً من قبل Johnson وMasling وSaturansky (١٩٧٤) فطلاب الجامعة الذكور الذين يتميزون بدرجة عالية من سيطرة المرحلة الفمية هم الذين أظهروا الكثير من التخيلات والتصورات بإجاباتهم على اختبار الرورشاخ وكانوا أفضل من الذكور المتميزين بدرجة منخفضة في صفات المرحلة الفمية من حيث التنبؤ باستجاباتهم مقارنة مع عيرهم. وقد تم الحصول على نفس النتيجة مع مجموعة أخرى من طلاب الجامعة الذين يعرفون بعضهم جيداً والذين وُضعوا في برنامج مسبق. وفي دراسة أخرى ، وجدت علاقة إيجابية بين سيطرة المرحلة الفمية والإدراك الشخصي للآخرين كان لها أهميتها في تعزيز سلوك الطلبة وعلاقاتهم الاجتماعية.

٢ ـ المرحلة الشرجية Anal stage :

عندما يُفطم Wear الطفل ، فإن الليبيدو تنتقل من الفم إلى الشرج. ويحصل على اللذة في البداية عن طريق طرح الفضلات (المرحلة السادية الشرجية). واللذة المتأخرة تأتي من خلال احتجازها (المرحلة الشبقية الشرجية) وخلال السنة الثانية والثالثة من الحياة ، فإن اللذة الشرجية تسيطر ، في حين اللذه الفمية تسود فقط السنة الأولى من الحياة . حتى المرحلة الشرجية ، فإن بعض المطالب النمائية تتواجد عند الطفل. وخلال السنة الثانية ، فإن الوالدين في أكثر الثقافات الغربية يبدأن بوضع تقييدات على سلوكيات أطفالهم وتنشئتهم وتغذيتهم. وهذا يتضمن بشكل

خاص ضبط عمليتي التبول والإخراج. إن الصراع في المرحلة الشرجية يحرض الدافع الجنسي من أجل اللذة عن طريق خفض التوتر من خلال الإخراج أو التغوط ، مقابل تقييدات المجتمع بأن الطفل ينمي التحكم الذاتي Self-control مع تقدير عملية المص.

إذا استجاب الأطفال بسهولة لمطلب الأهل حول التدرب على الإخراج بشكل نظامي tailet-training فإنهم سينمون ويتطورون باتجاه التحكم الذاتي الناجح إن ضبط العضلات يصبح النمط الأصلي والبدائي للضبط الذاتي عموماً ، بينما تكون عملية الفطام فقط ، هي النمط الأصلي للاعتمادية. على كلٍ ، ربما يواجه الطفل صعوبة في تنمية سلوك الضبط والتحكم ومقابلة مطالب الأهل والاستجابة إليها أيضاً. وهذا ربما يقود إلى نمو الخلق أو الطبع الشرجي Anal character ، وهي التي تصف الشخص الموصوف بالترتيب والنظام ، والبخل ، والعناد والسلوك القسري أو القهري.

الخلق الشرجي Ahal character :

إن إحدى الطرق للتعامل مع الصعوبة المرتبطة بتدريب الإخراج المقاومة أو التضاد المباشر Direct opposition ويعني ذلك «لا يمكنك أن تدفعني على ذلك» وتتضمن محاولات إلى «هجوم مضاد» بالتغوط خاصة في لحظات صعبة وسيئة كالخروج من التواليت حالاً. وربما يكتشف الطفل بأن هذا دليل ناجح على التحكم الذاتي. وربما يعتمد الطفل ذلك كطريقة لمواجهة الإحباط عموماً وبذلك يصبح ذا خلق شرجي (سادي) طارح طارد (مخرج) Anal expulsive (sadistic) character ومن المهم أن هذه التعبيرات العامة للعدوان والغضب المتطرف غالباً ما تُعزى إلى الإخراج. والأشخاص ذوو الطبع أو الخلق الشرجي الطارد يُتوقع أن يكونوا عنيدين ، بخلاء ويتمردون أو يظهرون الغضب من خلال سلوكهم الذي يتميز بعدم الترتيب أو النظام ، والفوضى والتخريب.

الطريقة الأخرى لمواجهة مطالب الوالدين تكون باحتجاز الفضلات بدلاً من طردها وإخراجها. والطفل يجلب اللذة عن طريق هذا الضغط الخفيف لجدران الأمعاء. والأكثر من ذلك ، فإنه قد يُظهر سلوكاً اندفاعياً نحو والديه اللذين يخشيان تعرضه لمرض معوي معدي. وعندما ينجح هذا الأسلوب التكتيكي ، فإنه مهيّأ لمرحلة تتميز بأنماط سلوكية قسرية أو قهرية بشكل غير عادي وذلك في الحياة اللاحقة. هنا يصبح الشخص ذا طبع أو خلق قسري (شبقي) شرجي Anal compulsive (erotic) character ويتميز الشخص ذو الخلق القهري الشرجي بالنظافة ، والحذر ، والنظام والرتابة. وهنا نلاحظ أنه يثور لأي شيء غير نظيف ، أو لأي شيء ليس بمكانه ، حيث يقوده هذا إلى الارتباك والقلق والتوتر.

إن الخلق الشرجي الطارد والخلق الشرجي القهري هما جانبان لنفس عملية التثبيت ، فكلاهما استجابات ليصبح الشخص قوياً وصارماً ومتحكماً إن العلاقة بين هذين النمطين من الخلق والطباع الشرجية والسمات الشرجية الأساسية الثلاث عند فرويد ، موضحة في الجدول ٤ ـ ٣.

المرحلة	السمة الأساسية	أمثلة
الشرجية الطاردة (المخرجة) (سادية)	البخل	الازدراء، ذو تملك، اقتناء، ادخار (الحب)
	عنيد	عسير- متحد وجريء، الاغتياظ والانتقام
الشرجية القهرية (شبقية)	مرتب ومنظم	نظافة الجسد، شعوري، ثقة حميمة، الاهتمام بالتفصيلات، النظافة، الحذر والنظام

الجدول ٤ ــ ٣: يمثل الخلق الشرجي

البحوث التي أجريت على الخلق الشرجي: Reseavehes on anal :Character

إن العديد من الدراسات الترابطية اتجهت إلى فحص السمات الأساسية الثلاث التي افترضها فرويد كأساس للخلق الشرجي للتأكد فيما

إذا كانت مترابطة عند الناس بشكل حقيقي. وقد تضمنت استجابات لعدد من الاختبارات حول العلاقات بين الأشخاص والنشاطات المفضلة ، والنمط العام للسلوك لقد دعمت التجارب بدرجة عالية السمات الشرجية ، ولكن الترابط الأقوى الذي وُجد كان بين البخل والرتابة أو التنظيم. مثلاً ، يميل الناس الذين يبالغون بالنظافة إلى أن يكوِّنوا صفات الازدراء وعدم النزاهة بشكل متطرف.

هناك أيضاً بعض الدراسات التجريبية المثيرة فقد سأل Rosenwald (١٩٧٢) طلاب الجامعة الذكور لتحديد الأشكال الجغرافية المختلفة عندما تم إحاطتهم بمواد ذات رائحة كريهة تشبه رائحة (التغوط) ، وعندما تم إحاطتهم بالماء أيضاً . إن مقارنة الأداء في كلا الظرفين قد تم من أجل قياس وتقويم القلق الشرجي Anal anxiety فكلما زاد الفرق في الأداء ، كلما زاد القلق الشرجي والرجال الذين واجهوا صعوبة كبيرة في المواد الشبيهة بالتغوط ، بدوا أكثر عناداً وأكثر دقة في تنظيم المجلات الموجودة هنا وهناك بدون ترتيب ومحاولة لترتيبها ووضعها بمكانها النظامي.

لقد فشلت الدراسات التي ركزت على منشأ وأصل الطبع أو الخلق الشرجي في دعم الفكرة القائلة بأن الطبع (الخلق) الشرجي مرتبط بصعوبة وفشل في التدرب على الإخراج. وفوق ذلك ، فإن الدلائل التجريبية لم تؤيد فرضية فرويد إن كلاً من الطبع أو الخلق الفمي والشرجي ينشأ من خلال الصراعات النفسية الجنسية ولكن هذا لا يعني أن مفهوم الخلق الفمي والشرجي غير صحيح. إن ملاحظات فرويد العيادية للسمات الأساسية المرتبطة بأنماط السلوك المختلفة عند الراشدين قد تكون صحيحة ودقيقة. إن نظريته (استنتاجية) بأن النمط الخلقي أو نموذج الطبع character type مرتبط بتثبيته في المرحلة النفسية الجنسية (السيكوجنسية) قد يكون غير صحيح.

٣ ـ المرحلة القضيبية phallic stage :

خلال السنتين الرابعة والخامسة من الحياة ، فإن الليبيدو يتركز في المنطقة العضوية التناسلية والأطفال خلال هذه المرحلة يظهرون الاهتمام والنظر المستمر لأعضائهم ، ويسألون أسئلة متكررة حول الولادة والجنس. إن الصراع في هذه المرحلة يكون أكثر خطورة من حيث طريقة الطفل في التعامل أو التكيف معه.

إنه يتضمن رغبة الطفل اللاشعورية نحو الوالد من الجنس الآخر ، وفي نفس الوقت إبعاد الوالد من نفس الجنس ، لقد سمى فرويد هذا الوضع عقدة أوديب oedipus complex وهذا الاسم مأخوذ من الأسطورة اليونانية حيث يقتل البطل أوديب أباه ويتزوج أمه.

عقدة أوديب :

تعمل عقدة أوديب بصورة مختلفة عند الذكور والإناث ، إن موضوع الحب الأول للطفل الصغير هو أمه. كما يتركز الليبيدو في المنطقة التناسلية ويصبح تعلقه بأمه ذا صبغة جنسية. وبشكل طبيعي ، فإن والد الطفل يقف في طريق هذه الرغبة الجنسية نحو الأم. وعلاوة على ذلك ، فإن الطفل يرى والده كمنافس ، ولذلك فإنه يرغب في إبعاده من موضعه. وتُنتج هذه الرغبات خوف الطفل من انتقام والده. إن الطفل الصغير من خلال ملاحظاته أن النساء لا يملكن قضيباً ، يفترض له بأن انتقام والده سيأخذ شكل الإخصاء Castration هذا التهديد بالإخصاء ، (قلق الخصاء castration anxiety) يدفع الطفل لإبعاد رغبته عن موضوعها (المتجهة نحو أمه) ، والثانية: هي تقمص شخصية الأب. فالكبت هو الوسيلة الدفاعية التي يبعد من خلالها الطفل كل الأفكار والمشاعر هذه عن مستوى الوعي أو الشعور.

أما التقمص الدفاعي Defensive Identification فيتضمن أن يصبح

الطفل كشخصٍ مستقل يهدد ويفرض سيطرته إنه ينتج من لا شعور الولد «تفكيره ومحاكمته Resoning»: «لا يُمكنني أن أحوز على أمي ، خوفاً من عملية الخصاء من قبل والدي ، يمكنني على كلٍ ، أن أستحوذ عليها بطريقة بديلة vicariausly يمكنني أن أحصل على بعض المتع joy بامتلاك والدتي عندما أتشبَّه بوالدي» إن الولد يحل الصراع بتوحده أو تقمصه سلوك والده ، اتجاهات والده وشخصيته. فتوحد الذات أو التقمص الدفاعي Defensive Identification يتيح للولد أن:

١ ـ يمتلك والدته بصورة بديلة.

٢ ـ أن يتخلص من قلق الخصاء.

٣ ـ يتمثل assimilate السلوك أو الدور الجنسي المناسب له.

ويقابل عقدة أوديب ، ما يسمى بعقدة اليكترا عند الإناث Electra complex إن عقدة اليكترا ، أكثر تعقيداً وأقل وضوحاً من مقابلتها عند الذكور ، إن الموضوع الأول لحب الطفلة هو والدتها أيضاً. وخلال المرحلة التناسلية ، تكتشف أن والدها والذكور الآخرين (أخاها مثلاً) لكلٍ منهم قضيب. ولكن هي ووالدتها (والنساء الأخريات) لا يوجد عندهن ذلك. وتستنتج بأنها ستملك قضيباً في وقت ما ، وهي تلوم والدتها من أجل عملية الخصاء الظاهر ويكون حبها لوالدها ذا طابع شبقي. يضاف إلى ذلك أن والدها محسود envy لأنه يملك قضيباً. ويصف فرويد حسد القضيب Penis envy كمقابل لقلق الخصاء. على كلٍ ، إن قلق الخصاء يدفع الولد الصغير لأن يتخلى Remounce عن رغباته المحرمة ، حسد القضيب لا يحمل تهديداً بالأذى أو الانتقام. وعوضٌ عن ذلك فإن الطفلة تخاف من فقدان حب أمها ، وهذا بالحقيقة ، يوازي قلق الخصاء عند الذكر ، حيث أنه يدفعها إلى حل عقدة اليكترا.

إن فرويد غامضٌ في تحديد الكيفية التي من خلالها تحل عقدة اليكترا. إنه يقول بأن الحل يحدث في فترة لاحقة من الحياة ، ولكن ليس

بشكل كامل أبداً (وهذا يتضمن أن النساء دائماً يحتفظن بنوع من التثبيت للمرحلة القضيبية). إن الأم لا تحتفظ بأي نوع من تهديد الخصاء يفوق ابنتها. ولكنها مع ذلك تبدي استياءً متطرفاً بسبب العلاقات المحرمة بين زوجها وابنتها. ومن المحتمل أن عدم قدرة الفتاة على تحقيق الرغبة الأوديبية عملياً ، يدفعها إلى كبت رغباتها نحو والدها وتتوحد بشكل دفاعي مع والدتها. وهذا يحمي الفتاة من فقدان حب والدتها. إنه أيضاً كما في حالة الولد ، يسمح لها بأن تستحوذ على والدها بشكل بديلي وتنمي سلوك الدور الجنسي المناسب لها.

لقد عرضنا الشكل العام لعقدة أوديب. إن النمط الحقيقي لكل شخص يعتمد على نمو الطفل في المرحلة القضيبية. كما أنه يعتمد أيضاً على الظروف العائلية الخاصة خلال هذه المرحلة مثلاً ، إذا غاب أحد الوالدين ، فسوف يستعيض ببديل ، مثل العم أو العمَّة. ويصف فرويد أن حل عقدة أوديب يعتبر المظهر الأكثر أهمية وحرجاً في نمو الشخصية. والحل غير الناجح unsuccessful Resoluation يقود على العكس من ذلك ، إلى الأمراض النفسية كما يقول فرويد.

إن المرحلة القضيبية ، تعتبر مهمة ، وذلك لأنه في هذه الفترة تنمو عند الطفل المبادىء الأخلاقية (الشعور أو الوعي الأخلاقي) وذلك من خلال التقمص أو التوحد مع الأخرين وخاصة مع الوالدين.

إن التثبيت في المرحلة القضيبية هذه ، يشكل نمط الطبع أو الخلق القضيبي Phallic character ويتميز هذا النمط بالتهور ، الصرامة والعزم ، والثقة بالنفس (Fenichel 1945) إضافة إلى الأنانية أو النرجسية. وهناك أيضاً مع النرجسية تطرف في الغرور والكبرياء. إن الأشخاص ذوو الطبع القضيبي لم يستطيعوا حل عقدة أوديب عندهم ، وعلاوة على ذلك ، فإنهم يخشون العلاقات الحميمية القريبة والحب لأنهم ما يزالون يعانون قلق الخصاء. إنهم يظهرون الشجاعة والتباهي

ولفت أنظار الآخرين ، وهذا السلوك هو مبالغة في التعويض بسبب قلق الخصاء. إن مفاهيم فرويد عن الجنسية الطفولية وعقدة أوديب يصعب على الناس قبولها ، وقد كان هذا حقيقة في بداية هذا القرن عندما عرَّف فرويد بنظريته الجديدة ، كما أنه صحيح أيضاً بالنسبة للطلاب الذين يتعرفون على هذه النظريات ، ويمكننا أن نوافق على الصراعات التي تحدث في المراحل الفمية والشرجية. قد لا نستطيع تذكر عملية فطامنا وتدريبنا على الإخراج. ولكن هناك دليلاً قوياً في سلوكنا الحاضر بأننا كنا كذلك. وعلى النقيض ، فإن من غير الواضح أننا في وقت ما تتملكنا رغبات محرَّمة اتجاه والدنا من الجنس الآخر ، ومجرد الفكرة تكون متناقضة تماماً مع أخلاقياتنا. كيف يمكن أن يجيب فرويد على الزعم القائل «إنني لم أمر أبداً في عقدة أوديب» يمكن له أن يشير إلى أن التابو (المحرَّم) مقابل الاتصال المحرم يكون قوياً جداً ، لأن القلق الناتج بسبب الرغبات المحرَّمة (للاتصال بالقربى) ذو مدة طويلة منذ الذكريات المكبوتة الخاصة بعقدة أوديب.

دلائل عقدة أوديب Evedehce for the oedipus complex :

إن نظرية فرويد عن عقدة أوديب هي بالحقيقة تجمع لنظريات مصغرة. وهذه تتضمن مظاهر مختلفة للتنشئة الاجتماعية (الدوافع الجنسية المباشرة ، وتبني أدوار الجنس) إن نتائج البحث التجريبي المتعلق بالتوحد الأوديبي يدعم التعميمات التالية :

١ ـ كلٌّ من الذكور والإناث يكون أقرب وأكثر التصاقاً بالأم منه بالأب قبل الفترة الأوديبية.

٢ ـ في مرحلة لاحقة بعض الشيء (بعد التاسعة) يتوحد كل جنس الوالد من نفس الجنس أكثر من توحده للجنس الآخر.

٣ ـ هناك اتجاهات دفاعية مكتشفة عند الشخص بعد مرحلة أوديب ،

والتي تفترض عليهم التعامل والتكيف مع المشاعر الجنسية اتجاه الوالد من الجنس الآخر ، وحقد أو كره اتجاه الوالد من نفس الجنس (Fisher, greehberg 1977).

لقد أيدت البحوث التجريبية الظاهرة الأوديبية. وسوف نصف دراستين حول قلق الخصاء وحسد القضيب والتي استخدمت المناهج الترابطية والتجريبية في البحث.

لقد حَلل Hall, Vande (١٩٦٣) أحلام ١٢٠ طالب من طلاب الجامعة لتحديد قلق الخصاء وحسد القضيب. وقد أخذت الأمثلة للإشارة إلى قلق الخصاء متضمنة عدم قدرة الحالم على استخدام قضيبه أو رمز لقضيبه (كالقلم مثلاً) وقد يمثل الحصول على القضيب أو ما يرمز له أو التحول إلى رجل في الحلم دليلاً على حسد القضيب. لقد كانت النتائج ثابتة ومتسقة مع الفروق النظرية بين الوضع الأوديبي عند الذكور والإناث. وكانت أحلام الرجال عن قلق الخصاء أكثر من النساء؛ بينما النساء ، كانت أحلامهن عن حسد القضيب والرغبة لأن تكنَّ مخصيات (هذه الرغبة مرتبطة بحسد القضيب ، لأن الرغبة تفترض أن الرجل يملك قضيباً).

في نموذج آخر مختلف من البحوث ، درس سانروف وكوروين Sarnoff, Corwin (١٩٥٩) العلاقة بين قلق الخصاء والخوف من الموت. يصف المحللون النفسيون الموت (وكذلك الأشكال الأقل خطورة للأذى الجسدي) كرموز للخصاء لقد افترض سانروف وكروروين أنه كلما كان قلق الخصاء كبيراً ، كلما زاد الخوف من الموت عندما ينشأ قلق الخصاء. وقد قاسا الخوف من الموت عند الطلاب غير المتخرجين ، قبل وبعد ظهور قلق الخصاء وفي القسم الأول من التجربة أشار المفحوصون إلى موافقتهم حول موضوعات الموت مثل «إني أرتبك عندما أفكر بقصر مدة الحياة» وذلك في مقياس مختصر للخوف من الموت.

وقد تم تقييم قلق الخصاء وقياسه باستخدام التقنيات الإسقاطية.

وطلب من المفحوصين اختبار واحدة من ثلاث مواصفات الكرتون المفترض أنه يصف الخصاء وعلى أساس هذا الاختبار ، فقد قسم المفحوصون إلى مجموعات: قلق الخصاء المرتفع ، وقلق الخصاء المنخفض أو الضعيف .

في القسم الثاني من التجربة ، عاد المفحوصون بعد أربعة أسابيع لاحقة . زعم أنهم سوف يقيِّمون بعض الصور من حيث قيمتها الجمالية esthetic value. نصف المفحوصون في كلٍ من مجموعات قلق الخصاء ، قد قيَّموا الصور ونظروا إليها على أنها نساء عاريات nude women (ظروف الإثارة الجنسية المرتفعة)؛ والنصف الآخر قيَّموا الصور باعتبارها نماذج من طراز اللباس الكامل (ظروف الإثارة الجنسية المنخفضة) وبعدها أتم المفحوصون الإجابة عن اختبار الخوف من الموت كما تم التنبؤ ، تحت ظروف الإثارة الجنسية العالية ، التي افترض أنها تبعث على قلق الخصاء. إن المفحوصين الذين يبدون قلق الخصاء المرتفع أظهروا زيادة كبيرة وذات دلالة في الخوف من الموت أكثر من أقرانهم ذوي قلق الخصاء المنخفض ، ولم يوجد فروق بينهم عندما كانت الإثارة الجنسية ضعيفة . وهكذا يتبين أن الخوف من الموت هو دليل على قلق الخصاء ، وبذلك فإن هذه الدراسة قد قدمت دعماً لأحد أهم مفاهيم التحليل النفسي.

إعـــادة تفسيـر كـارن هـوري لعقـدة أوديـب :

إن بعض المحللين النفسيين وآخرين من علماء النفس الذين يدرسون نمو الطفل ، يتساءلون حول ملاحظات فرويد ، بأن الأطفال حوالي الرابعة أو الخامسة من العمر ، يختبرون انفعالات الحسد والمنافسة ومشاعر التناقض الوجداني Ambivalent feelings ، الحب والكره للوالدين. إن الكثيرين يشكون حول منشأ ومحتوى هذه المشاعر . بشكل خاص ، فإنهم لا يوافقون فرويد بتفسيراته الجنسية. فالمحللة النفسية

كارن هوري (١٨٨٥ ـ ١٩٥٢) مثلاً ، أعادت تفسير عقدة أوديب في مفاهيم ومصطلحات ديناميكية الشخصية .

«إن الصراع النموذجي الذي يقود إلى القلق عند الطفل هو بين الاعتماد على الوالدين والنزعات العدوانية أو الحاقدة اتجاه الوالدين . الحقد أو العدوانية ربما تنبعث عند الطفل بطرق عدَّة : بسبب عدم تقدير أو احترام الوالد له ، وبسبب المطالب غير المعقولة أو الحظر والتحريم ، وسوء التقدير ، وعدم الثقة ، وبسبب قمع النزعة النقدية عند الطفل أو لسيطرة الوالد وعزوه ذلك على أنه حبٌ للطفل إذا كان الطفل ، إضافة لاعتماده على والديه ، بديناً أو مرهف الحس وحساساً ، فإنه يقلد والديه ويشعر عندها أن التعبير عن العدوان أو الحقد نحوهما سوف يعرض أمنه للخطر والتهديد ، فإن وجد هذا العدوان أو الحقد فسوف ينتج القلق حتماً .

ربما تبدو الصورة مشابهة تماماً لما وصفه فرويد بعقدة أوديب : التعلق العاطفي بأحد الوالدين ، والغيرة أو الحسد اتجاه الآخر ولكن البناء الديناميكي لهذا التعلق العاطفي يختلف بالكامل عما يراه فرويد عقدة أوديب . هناك ظهور مبكر للصراعات العصابية أكثر منه ظاهرة جنسية أولية» (هورني horney ١٩٣٩) بخلاف فرويد فإن هورني بنت نظريتها من خلال بحوثها على النساء ، وهي تتحدى استعمال فرويد لحسد القضيب من أجل شرح وتفسير النقص الإنثوي Feminine Inferiority ونظرته لمرحلة الأمومة كتعويض عن ذلك النقص ، وترى هورني أيضاً أن صورة فرويد عن المرأة قد شُوِّهت وحرِّفت بسبب أنه اعتمد بشكل رئيسي وكثف على ملاحظاته الإكلينيكية للنساء العصابيات .

٤ ـ فترة الكمون Latency Period :

عندما تُحل Resolve عقدة أوديب ، حوالي الخامسة من العمر ، فإن

أطفال الجنسين يمرون في مرحلة تسمى الكمون ، الكمون ليس مرحلة من النمو الجنسي النفسي ، وذلك لأنه لا وجود لنمو جنسي آخر في هذه الفترة. وهذا الكمون يمتد من نهاية المرحلة القضيبية حتى مستهل وبداية البلوغ Onest of puberty وفقاً لفرويد ، فإن الكمون يتضمن الكبت الشديد للنزعات الجنسية وكذلك للفمية والشرجية.

وخلال هذه الفترة تتحول قنوات الليبيدو من الإلحاح الجنسي إلى بعض النشاطات كالصداقة مع أطفال المدرسة والأقران من نفس العمر ، والرياضة وكذلك الهوايات hobbies لكن فرويد لم يتحدث إلا القليل جداً عن هذه الفترة في حين يركز الكثيرون من المحللين النفسيين الآخرين على هذه الفترة ، (أريكسونErikson ١٩٦٣ ، سوليفان sullivan ١٩٥٣).

٥ ـ المرحلة التناسلية genital stage :

تبدأ المرحلة الأخيرة للنمو الجنسي النفسي عند فرويد مع البلوغ ، حيث يبدأ المراهق بالنضج الجنسي وتمتد هذه المرحلة خلال مرحلة الرشد وحتى الشيخوخة في الوقت الذي ينكص الفرد إلى السلوك ما قبل الجنسي (سلوك المرحلة الفمية والشرجية والقضيبية) في المرحلة التناسلية هذه ، يتركز الليبيدو أيضاً في المنطقة التناسلية ، ولكن هنا يتوجه نحو التغاير الجنسي heterosexuality أكثر من لذة الشبق الذاتي autoerotic pleasure وكلما نجح الفرد في الوصول إلى المرحلة التناسلية بدون تثبيت كبير لليبيدو إلى المراحل ما قبل التناسلية ، كلما كانت قدرته عظيمة ليتعود حياة طبيعية وسوية خالية من العصاب ويتمتع بعلاقات مع الجنس المغاير أو الآخر.

لقد أمضينا القسم الأعظم من حياتنا في المرحلة التناسلية ، بالرغم من ذلك ، فإن فرويد تحدث القليل عن مرحلة الطفولة. وهذا يتفق مع وصفه للسنوات الخمس الأولى من الحياة بأنها تحدد شخصية الفرد. بالرغم من تركيز عدد من المحللين النفسيين على هذا النقص أو الضعف . مثلاً آنّا

فرويد ـ ابنة فرويد ـ (١٨٩٥ ـ ١٩٨٢) وضعت نظرياتها حول المراهقة. وقد كانت أيضاً من رفاق والدها وتابعيه وكانت رفيقه الدائم في أواخر حياته كما أنها استمرت بالعمل في إطار التحليل النفسي الكلاسيكي حتى وفاتها.

لقد لاحظت آنّا فرويد (١٩٥٨) أن المراهقين يواجهون فجأة ، توارد النزعات والدوافع الجنسية والعدوانية والتي تناقض بشكل حاد خبراتهم خلال فترة الكمون ، لقد كتبت «هناك مواقف وأوضاع قليلة من الحياة تكون أكثر صعوبة للمواجهة والتكيف من محاولات المراهق أو المراهقة لتحرير أنفسهم». وقد وضعَتْ آنّا عدة استراتيجيات يمكن للمراهقين استخدامها لإعادة الحصول على مشاعر التحكم والضبط والسيطرة. أحدها هي التقشف asceticism حيث يحاول المراهق الابتعاد عن المتع الجسدية (الحمية القاسية أو النشاطات البديلة). من وجهة نظر التحليل النفسي ، فإن هذه الاستراتيجية (الأسلوب) قد تبناه المراهقون الذين يعانون من فقدان الشهية العصبي النفسي المنشأ Ahorexia nervosa واضطرابات التغذية التي تنتشر بين المراهقات اللواتي يفقدن عدداً من الكيلو غرامات من أوزانهن بسبب توقفهن عن الطعام (Bruch 1973) والأسلوب الآخر الذي يستعمله المراهقون هو التعقّل أو العقلنة Intellectua - lization حيث ينمي المراهق نظريات وفلسفة خاصة حول طبيعة الحب والحياة.

مفهوم يونغ حول أزمة منتصف الحياة:

لقد سبق كارل يونغ زمنه حين وضع نصب عينيه العمر المتوسط (منتصف الحياة) كفترة حرجة في Midlife crisis حياة الشخص Levinson, Mckee 978, sheely 976,1981, vaillant 1977) (Levinson, Darrow, Klein). ويصف يونغ هذه الفترة بأنها الوقت الذي يجتاز فيها الناس الانتقال الرئيسي من اندفاعات المراهقين وصفتهم الانبساطية Extroversion إلى التفكير والانطوائية Introverrsion من

الاهتمامات والأهداف التي ترجع بأصولها إلى الإلحاحات البيولوجية إلى الاهتمامات والأهداف المستندة إلى المعايير الثقافية. إن قيم الشخص تصبح أكثر اجتماعية ، دينية ، مدنية ، وفلسفية. بإيجاز ، نقول: ينمو الفرد في منتصف الحياة ليصبح مخلوقاً روحياً. وهذا التغير هو ما يصفه يونغ بأزمة منتصف الحياة . تحدث الأزمة عند الناس الناجحين الهادئين عندما يتحققون بأن أهدافهم تم تعيينها لهم من قبل الآخرين (الإنجازات والأعمال التي يعززها المجتمع تم كسبها والحصول عليها على حساب انتقاص للشخصية ، والعديد من مظاهر الحياة التي يخبرها الفرد تكون في غرفة مضيئة بين ذكريات مغبرة» (يونغ ١٩٣٣) إن تحول الطاقة خلال منتصف الحياة يجب أن يتم بهدوء وإذا لم يحدث هذا فإن يونغ يعتقد بأن الشخصية ستكون معطلة بشكل دائم وخطير.

لقد كان يونغ ناجحاً جداً في علاجه للأفراد الذين يعانون صعوبات خلال الانتقال إلى هذه المرحلة وخلالها. وهو يعتقد بأن أزمة منتصف العمر يمكن أن تواجه وتُحل عبر الفردية أو التفرد Individualization ويعني هذا أن يجد الفرد طريق ذاته. وتبدأ العملية عن طريق «تحويل الطاقة بعيداً عن متناول وسيطرة العالم الخارجي. . . . والتركيز على ذواتنا نحن. وهذا يعني أننا نشعر بأن داخلنا يصغي للاشعورنا ونتعلم من طاقاتنا التي بقيت بدون تحقيق واستخدام عندها نبدأ بالتساؤل حول معنى حياتنا» (Crain 1980).

٥ ـ المراحل الثماني للنمو النفسي ـ الاجتماعي عند أريكسون

Eriksons eight stages of psychosocial Development

من النظريات البديلة والمميزة بالنسبة لنظرية فرويد عن النمو النفسي ـ الجنسي هي نظرية إيريك أريكسون (١٩٠٢ ـ . . . .) هذا المحلل النفسي الذي تدرب على يد آنّا فرويد.

إن أريكسون لا يقلل من تأثير العوامل البيولوجية والنفسجنسية في نمو الفرد ، ولكنه يشدد على تأثير الثقافة والمجتمع. علاوة على ذلك ، فإنه يصف الكمون عند فرويد بأنها فترة نمو وازدهار أكثر منها فترة ركود Stagnation.

إن أريكسون ـ يشبه يونغ ـ عندما يدرس مرحلة الرشد ويعتبرها فترة نمو مهمة.

إنه يقسم هذا النمو إلى ثلاث مراحل: مرحلة الرشد الأولى ثم مرحلة الرشد وأخيراً مرحلة النضج. ويعتقد أريكسون أننا جميعاً نتعامل مع ثماني مهمات (مطالب) نمائية حرجة خلال فترة حياتنا وكل واحدة منها تصبح مركز الاهتمام في تلك الفترة المحدودة من الحياة. ولذلك فإن أريكسون يضع ثماني مراحل للنمو النفسي ـ الاجتماعي ، وكل مرحلة تسمى استناداً للمهمة النمائية (الحاجة النمائية) المسيطرة وتكون مركز الصراع في ذلك الوقت. وفي كل منها هناك مواجهة مباشرة مع البيئة وبكل واحدة هناك صراع نفسي بين أسلوب تكيفي حسن وأسلوب تكيفي سيء للتعامل حين المواجهة (بين الثقة مقابل عدم الثقة). وكل صراع يجب أن يتم حلّه بنجاح في الفترة التي يظهر فيها ، قبل الشروع بحل الصراع الذي يظهر في المرحلة اللاحقة. إن الحل الناجح يكون نسبياً ويتضمن تطوير «نسبة مفضلة ومرغوبةFavorable Ratio » بين البديل حسن التكيف وسيء التكيف ، (ثقة أكثر من عدم الثقة).

على العكس من مراحل فرويد ، فإن المهمات والموضوعات الثمانية للنمو عند أريكسون تكون موجودة منذ الولادة وتبقى طوال فترة الحياة. مثلاً ، خلال السنة الأولى للحياة (المرحلة الأولى عند أريكسون) فإن المشكلات الرئيسية للطفل تتركز حول تنمية وتطوير الثقة الأساسية Basic trust على أية حال فإن الطفل يناضل للحصول على الاستقلالية والثقة ـ المطلب المركزي للمرحلة الثانية عند أريكسون ـ كما أنه يحاول بأي

طريقة ليكون حراً من كل ما يقيده. وبالمثل فإن المراهقين مهتمين بالدرجة الأولى في تكوين مايسمى بالهوية Identity ولكنهم أيضاً يواجهون صراعات من أجل الاستقلالية عندما يناضلون لكسب الثقة أكثر من اضطراب الأدوار.

إن مفهوم النمو هذا قد تم تمثيله في الشكل ٤ ـ ١ إنه المخطط الذي وضعه أريكسون لمراحل النمو النفسي ـ الاجتماعي. وقد وضعت بما يقابلها من فترات النمو النفسي ـ الجنسي والجسدي ، إن كل عمود شاقولي يمثل واحدة من المهمات النمائية الثمانية إن الفترة من الحياة التي تصبح فيها المهمة أو الحاجة النمائية هي الصراع المركزي الأساسي قد تم وضعها في مربع غامق. ولفهم نموذج المهمة أو الحاجة النمائية المحددة ـ الهوية مقابل اضطراب الأدوار ـ في فترات أخرى للنمو تابع العمود الشاقولي الخامس من فترة تحسس القضيب إلى النضج إن طبيعة المهمات النمائية السبع الأخرى (التي لا تمثل الصراع الرئيسي خلال البلوغ والمراهقة) تم عرضها بشكل أفقي في المربعات البيضاء.

إن وصف أريكسون لمراحل النمو النفسي الاجتماعي الثماني ، يركز على الطريقة التي يتعامل فيها الفرد مع المهمات النمائية التي تمثل الصراع المركزي لكل مرحلة:

١ ـ الثقة مقابل عدم الثقة Basic trust v Mistrust:

في البداية ـ العام الأول ـ يطور الوليد الثقة الكافية التي يكتسبها من خلال والدته حيث هي التي تزوده بالطعام والراحة والأمن وبدون تعرضه للقلق أو الغيظ. مثل هذه الثقة لا تتضمن فقط الثقة التي يتوقعها من والدته ، وإنما أيضاً الثقة بنفسه Trust of oneself هذا الصراع يحدث خلال المرحلة الفمية عند فرويد (المقصود بالصراع ، هو صراع الطفل بين كسب الثقة أو عدمها).

الشكل ٤ ــ ١: مخطط أريكون لمراحل النمو النفسي ــ الاجتماعي الثمانية

التضج							منظور موضوعي للإنجاز مقابل منظور مشوه	التكامل مقابل اليأس
الرشد							اختلاف الدور مقابل محاولة الخروج	الانتشار مقابل التقوقع الذاتي
الرشد الأولى						العلاقات الحميمة مقابل العزلة	قبول الدور مقابل رفض الدور	
البلوغ والمراهقة	اعتبار للزمن مقابل تشويش للزمن	الثقة بالذات مقابل الشعور بالذات	اختبار الدور مقابل ثبات الدور	الدخول بمهنة مقابل ركود بالعمل		ثنائية جنسية مقابل تشويش جنسي	الهوية مقابل اضطراب الأدوار	التزام إيديولوجي مقابل تشويش القيم
الكمون				الدأب مقابل النقص			امتثال المهمات مقابل الشعور بعدم الجدوى	
التحركي التناسلي			المبادأة مقابل الذنب				مشاركة الأدوار مقابل كف الأدوار	
العضلي الشرجي		اليقين مقابل الشك					الاعتماد على الذات مقابل الشك بالذات	
التحسس القضيبي	الثقة مقابل عدم الثقة						الاعتراف الناضج مقابل العزلة الذاتية	

الشكل ٤ ـ ١ المراحل النفسية الاجتماعية (السيكواجتماعية) عند أريكسون.

٢ ـ اليقين مقابل الشك Autonomy vs shame and Doubt .

يحاول الطفل في الفترة اللاحقة (الثانية والثالثة من العمر) أن يكتسب الشعور بالاستقلالية واليقين في الامكانات الذاتية. وينشأ هذا الشعور مع النمو الحركي والعضلي والقدرة على الضبط والتحكم. إنها تقابل المرحلة الشرجية عند فرويد. فإذا فشل الطفل في تحقيق ما يتوقع منه الوالدان من حركات وتصرفات معينة (الإخراج ـ التبول ـ المشي) فإن الخجل والشك بالذات سوف ينشأ.

ويحدث الخجل بسبب عدم قدرة الطفل على الضبط الذاتي ، ويكون هذا الأساس للصعوبات اللاحقة ، إن تجربة الطفل في الحصول على التحكم الذاتي Self - control (في مرحلة الطفولة) يقودهُ إلى الشعور بالاستقلالية واليقينية أو الثقة بذاته وذلك في المراحل اللاحقة.

٣ ـ المبادأة مقابل الذنب Initiative vs guilt .

إن المبادأة مقابل الذنب ، هي الصراع الأخير الذي يخبره الطفل ويمر به قبل المدرسة إنه يحدث خلال المرحلة القضيبية عند فرويد. على الطفل أن يتعلم ضبط مشاعر التنافس عنده بصورة مناسبة وأن ينمي الشعور بالمسؤولية الأخلاقية Moral Responsibility. في هذه المرحلة ، يعيش الطفل في حالات من أحلام اليقظة وتخيلات الشعور بالعظمة grandeur ولكن يشعر أيضاً بنوع من السيطرة الواقعية عليه dominated ولتجاوز المشاعر الأخيرة هذه على الطفل أن يتعلم اكتساب وأخذ الدور المناسب Role appropriate بادئاً في إيجاد المتعة بقيامه بالأنشطة والفعاليات الاجتماعية والمقبولة ثقافياً واجتماعياً. وتتضمن هذه الأنشطة: اللعب الإبداعي ، ورعاية الأخوة الصغار ، والاهتمام بهم ومداعبتهم.

٤ ـ الدأب مقابل النقص Industry vs Inferiority .

يبدأ الصراع بين الدأب والنقص مع بداية الحياة المدرسية. فإذا نشأ

الأطفال كأفراد أصحاء ، فإنهم ـ في هذه المرحلة ـ يبدؤون بالتعلم والممارسة والشعور بالكفاءة في العلاقات مع الآخرين من أقرانهم ، ويواجهون بعض التقييدات أو القصور في بعض الفعاليات. ويجب الملاحظة هنا ، أن هذه المظاهر النمائية الهامة تحدث خلال المرحلة التي يعتبرها فرويد مرحلة الكمون.

٥ ـ الهوية أو الذاتية مقابل اضطراب الأدوار Identity v role confusion

مع حلول البلوغ Puberty يبدأ المراهق في تطوير شعوره بالهوية Identity كما استخدمها أريكسون ، فإنه يعني بها ، الثقة بأن الآخرين ينظرون إلينا كما نرى وننظر لأنفسنا وذواتنا. إن اختيار المهنة ذا أهمية خاصة بالنسبة للهوية. فإن لم تتشكل الهوية ، فإن اضطراب الأدوار سيحدث. ويُعزى ذلك إلى عدم القدرة على اختيار المهنة أو الأهداف التربوية اللاحقة وإلى المبالغة في التوحد مع بعض الأبطال أو الكبار المعروفين. ويمكن تجاوز حالة اضطراب الدور من خلال التفاعل مع الأقران أو الراشدين الذين يعرفون فرص العمل المختلفة أو يقبلون إدراك المراهق لذاته self - perception.

٦ ـ العلاقة الحميمية مقابل العزلة Intimacy v Isolation.

في مرحلة الرشد الأولى ، يتوقع من الناس أن يكونوا مستعدين لتكوين العلاقات الحميمية والصادقة. عليهم أن يطوروا العلاقات الاجتماعية والمهنية التعاونية مع الآخرين واختيار القرين؛ فإذا فشلوا في ذلك ، فإنهم سيحتفظون بعزلتهم (أريكسون ١٩٦٣) وقد لاحظ أريكسون ، عندما سأل فرويد عن الشخص السوي ما يمكنه أن يعمل بصورة جيدة ، فإنه أجاب «الحب والعمل love and work» ويقول أريكسون أنه لا يمكننا إدخال تحسينات على صيغة وجملة «البروفسور».

٧ ـ الانتشار مقابل التقوقع الذاتي Generatavity v stagnation.

إن الشخص الناضج ، عليه أن يعمل أكثر من مجرد تحقيق العلاقات الحميمية مع الآخرين ، وفقاً لأريكسون. إن الفرد بحاجة «إلى أن يكون هناك من يحتاجون إليه need to be needed» أي أن يكون هناك حاجة إليه ، إنه يقدم مساعدة للأعضاء الأصغر سناً في المجتمع إن الانتشار يعتبر مؤشراً للانتشار اللاحق ، فإذا لم يحدث ، فإن الفرد سيشعر بالتقوقع في الحاجات الشخصية والمصالح الخاصة.

٨ ـ التكامل مقابل اليأس Ego tntegrity v Despair.

ما لم ينجح الفرد في مواجهة الصراعات السابقة الذكر وبصورة مناسبة فإن اليأس سوف ينتج في الحياة اللاحقة مع عدم الثقة بالذات ، وسوف يتحقق بشكل واقعي أنه قد فات الأوان للبدء بحياة أخرى (طريقة حياة أخرى) مثل هذا الفرد سيعيش حياته الأخيرة في حالة ندم غير قابل للحل أو العلاج State of Inmcurable Remorse وليكون الشخص متكيفاً نفسياً واجتماعياً ويشعر بالتكامل ، فإن عليه أن يطور كل الأنواع التكيفية للمراحل السبع السابقة الذكر. ويعتقد أريكسون أن أي شخص ، بغض النظر عن قدراته ، يمكنه أن ينجز مثل هذا التكيف ويحققه.

٦ ـ العلاقات مع الموضوع
Object Relations

إن العلاقات مع الموضوع إحدى الأفكار المهمة في التحليل النفسي ، حيث تحدد جوهر العلاقات الاجتماعية ، والمقصود بـ object هنا هو الناس الآخرون other people وأن مصطلح object relations يعني كيف نتفاعل ونكوّن علاقات مع الآخرين. إن العديد من المحللين النفسيين قد وضعوا نظريات عن العلاقات مع الموضوع تختلف في درجتها عن تلك النظرية التي وضعها فرويد كأساس للعلاقات

الاجتماعية. تمتد هذه النظريات من تلك التي اعتمدت على نظرية فرويد التقليدية (Kerenberg 1975, Mahler 1968) ، إلى تلك النظريات التي تعتمد بدلاً منها على منظور جديد كامل للنمو (Guntrip 1969, Klien 952 Fairbairn 1977, Kohut 176) وهناك أيضاً النظريات التي توافق نظرية فرويد مع بعض التعديلات (Kohut 1971, Modell 1975) وسوف نفحص نظريتين حول العلاقات مع الموضوع ، الأولى تتفق مع نظرية فرويد ، والثانية ترفضها بالكامل:

١ ـ نظرية ماهلر للعلاقات بموضوع: Mahler,s object relation theory:

عند الولادة ، فإن الرضيع لا يميز بين ما هو «أنا» وبين ما هو «لست أنا» بين نفسه وبين الناس الآخرين. ويبدو المولود الجديد من خلال سلوكه أنه يعتبر أمه جزءاً من ذاته. وهكذا فإنه يكون بأعلى درجات التمركز حول الذات Egocentricity وتركز نظرية مارغريت ماهلر (١٨٩٧ ـ ١٩٨٥) عن النمو ، على العملية التي يفترض من خلالها الطفل هويته النفسية والجسدية physicad and psychological identity (ماهلر ١٩٦٨). إن طبيبة الأطفال مارغريب ماهلر ، قد أصبحت أكثر اهتماماً في العلاقة الوثيقة بين الأم وطفلها. وتستند نظريتها على كلٍ من الملاحظات الإكلينيكية والطبيعية وقد تمت الملاحظات الطبيعية naturalistic observatin في غرف لعب الأطفال حيث يلعب الأطفال بحرية بمختلف ألعابهم. وكانت الغرفة مقسمة بحواجز شبه مسيَّجة حيث تجلس الأمهات أطفالهن من الجهة الأخرى للحاجز المسيَّج وقد تفاعل الباحثون الملاحظون مع كل من الأطفال والأمهات ووضعوا تقارير مفصلة نهائية عن ملاحظاتهم(Bergman and Ellman 1985).

وتقسم ماهلر نمو الطفل إلى مراحل كما هو في الجدول ٤ ـ ٤ ففي المرحلة الأولى وهي الأسابيع القليلة الأولى من الحياة ، يكون الطفل في

حالة من التوحد أو الانطوائية الطبيعية Normal Autism بشكل كامل مع ذاته ، وبادٍ بوضوح للعالم الخارجي والآخرين. وأي مثير يستقبله الطفل فإنه يقيمه استناداً إلى الغريزة: ممتع/جيد مقابل مؤلم/سيء ويعتبر المولود أن حاجاته التي تم تحقيقها من قبل أمه ، هي جزء من قدرته ونفوذه غير المشروط ومحيطه التوحدي الانطوائي.

المرحلة	الإطار الزمني بشكل تقريبي	العمليات النمائية
التوحد الانطوائية الطبيعية	من الولادة حتى الشهر الأول	بشكل كامل مع الذات، غير مستقبل للمثيرات الخارجية.
المرحلة التكاملية (الاعتمادية)	من شهرين حتى ثلاثة أشهر	لا يميز «أنا» من «لست أنا»، كما إنه منصهر ومندمج بالأم، وعي غامض لموضوعات (أشخاص) إشباع حاجاته.
المرحلة الانفصالية ــ التفرد (التشخص)	من ٤ أشهر حتى ٨ أشهر	محاولات أولية للانفصال. كشف حسي للبيئة الخارجية ــ وتفحص وجود الأم بشكل متكرر.
مرحلة التمرس	من ٩ أشهر حتى ١٨ شهراً	الجهاز الحركي يسمح له بمزيد من كشف العالم، وانفصال وابتعاد أطول عن الأم.
مرحلة التقارب (علاقة ودية)	من ١٨ شهر حتى ٢٤ شهراً	صراع بين الاستقلالية والاعتمادية، ورغبة أن يبقى مع أمه وخوف من الابتعاد عنها
في الطريق إلى ثبات الموضوع	من ٢٤ شهراً...	نمو الشعور بالذات، والتمثلات العقلية، والانفعالية للآخرين.

الجدول ٤ ــ ٤: مراحل ماهلر لنمو العلاقات مع الموضوع

وخلال الشهرين الثاني والثالث ، يدخل الطفل في المرحلة التكافلية. حيث يعي بشكل مبهم وغامض موضوع إشباع حاجاته (هذا الموضوع هو الأم) وما يزال في مرحلة عدم التمايز ، ومندمج مع والدته ولا يميز بين «أنا» وبين «لست أنا» أي ذاته والمحيط. إن نمو العلاقات بموضوع تبدأ في الظهور بالمرحلة الثالثة والنهائية بالنسبة للتغيرات ومحصلات النمو: التمايز والتفرد. وتقسم هذه المرحلة إلى أربع مراحل فرعية: المرحلتان

الأوليتان تعتبران الشرط السابق والضروري لنمو العلاقات بموضوع وعلى الطفل المرور أولاً من الانطوائية الطبيعية إلى التكافلية الاعتمادية. ومن المهم بالنسبة له أن يحصل على الرضا من العلاقة التكافلية مع أمه. ويعتبر هذا أساساً من أجل التميز والتفرد اللاحق وفي بداية الشهر الرابع أو الخامس وحتى الثامن ، يبدأ الطفل في عملية الانفصال والتفرد (التشخص Separation - Individualization ففي المرحلة النوعية الأولى الأولى التمايز ، يبدأ الطفل خطوة في الابتعاد قليلاً بجسده من المرحلة السلبية ، إنها مرحلة وحدة ثنائية مع الأم (ماهلر ١٩٧٥) والذين يخبرون إشباعاً نموذجياً في المرحلة التكافلية سوف يكتشفون بحرية بيئتهم. ويتضمن هذا أنهم سيكونون في حالة حب استطلاع واكتشاف ومتمتعين مع الآخرين أكثر من التعرض للقلق مع الغرباء. ولذلك فالطفل يخشى هنا الغرباء ولكنه يتمتع بعلاقات مع الآخرين حوله. إن الطفل لا يستقل عن أمه كاملاً هنا ، حيث نلاحظه دائم البحث عنها بين الحين والآخر. لمعرفة درجة قربه منها ويجاهد أيضاً في استطلاع العالم المحيط أما المرحلة الفرعية الثانية ـ التمرس ـ فتشمل الأشهر من الثامن حتى الثامن عشر هنا يتوسع الأفق العقلي للأطفال بدرجة أكبر. كما أنهم قادرون على كشف المحيط الخارجي حسب قدراتهم الحركية أولاً بالاستناد ثم التسلق وبعدها المشي خلال هذه الفترة يكون الطفل في قمة اعتقاده بقدراته وقوته الخيالية ، التي ما تزال في سياق شعوره بأنها جزءاً من قوة أمه (ماهلر ١٩٦٨) يبقى الطفل ـ في هذه المرحلة ـ غير مغامر في الابتعاد عنها لأنه يعود إليها بين الحين والآخر من أجل الدعم والمساندة الانفعالية Emotional support.

إن التقارب والعلاقة الودية Rapprochment هما المرحلة الفرعية الثالثة وتبدأ من الشهر ١٨ حتى ٢٤ شهراً من العمر إنها تتميز بالتناقض الوجداني حول الانفصال عن الأم. النضال بين: كونه ما يزال يريد أن يكون قريباً من أمه وخوفه من أن يبقى مندمجاً معها ، حيث يصبح الطفل

أكثر وعياً للانفصال ، وخبرات قلق الانفصال الكثيرة ، فإنه يظهر رغبة متزايدة في البقاء معها ، يشاركها الحب والعطف. وتصف ماهلر هذه المرحلة بأنها حرجة ومهمة من أجل نمو شخصية المستقبل. وعلى الطفل أن ينمي التقارب بين حاجته للاستقلال والاعتمادية وهذا يتطلب أن تستمر أمه في تزويده بالدعم والمساندة الانفعالية ، وبنفس الوقت تسمح له بنوع من الاستقلالية. وإن فشل الطفل بالحصول على الاستقلالية ، فسينتج طفلاً كثير التعلق العاطفي بوالدته وغير قادر على أن يصبح مهتماً بالنشاطات الأخرى أو بالناس المحيطين (Eagle 1984).

والمرحلة الفرعية الرابعة والأخيرة من الانفصال والتمايز تبدأ حوالي السنة الثالثة من العمر وتستمر خلال النمو اللاحق. وتُعزى إلى «اندماج كل من التفرد أو الفردية Individuality وبداية ثبات الموضوع الانفعالي» (ماهلر ١٩٧٥) هنا ينمي الطفل فرديته المحددة خلال حياته وشعوره بدوام الموضوع الذي يتضمن تمثلات عقلية للناس وخاصة أمه. وبذلك يبقى هؤلاء (الآخرون) مع الطفل بشكلٍ رمزي. وهذا ما يدعو الطفل يبقى بعيداً عن أمه بدون الاعتماد الانفعالي منها عن طريق الحب والدعم ، إن حبها ودعمها قد تم تمثيلهما داخلياً. مثلاً ، في روضة الأطفال ، ربما يساعد الطفل طفلاً آخر ويشعر بالسعادة من جرَّاء ذلك. هذا الشعور الممتع يأتي من التصور العقلي لدعم الأم لمثل هذا السلوك.

بالرغم من الانتقادات التي وجهت من بعض العلماء (Klein 1981, stern 1983) ، بأن الطفل غير متمايز كلياً وما يزال مندمجاً بأمه. فما تزال ماهلر تحتفظ بأهميتها وذلك لأنها حددت الانفصال ـ التفرد كبعد من أبعاد نمو الشخصية. في الواقع ، إن هذا البعد يبدو مهماً لكل الأنواع (Eagle 1984) . وقد تم دعم مفاهيم ماهلر من قبل العديد من العلماء والدراسات التجريبية غير التحليلية. مثلاً ، بينت هذه بدراسات أن الأطفال الذين تزودهم أمهاتهم بأساس من الأمن والذين يعودون إليهم عند الحاجة ،

سيميلون للنظر والكشف حولهم بدرجة كبيرة (Aihsworth 974, Ainsworth and Bell, Stayton 1971) ومن المثير أن هذه العلاقة موجودة أيضاً عند الطيور (Wilson, Rajechi 1974) والشمبانزي . علاوة على ذلك فإن نظرية ماهلر ـ وغيرها من النظريات حول نفس الموضوع ـ تُنبىء بأنه ، مع ازدياد العلاقة العاطفية وقربها بين الطفل والأم يزيد سلوك الاستقلالية والاكتشاف وحب الاستطلاع عند الطفل (Eagle 1984) وكذلك فقد ثبتت أفكار ماهلر من قبل دراسات أخرى في التحليل النفسي (1984, Ainworth 1971 Ainworth).

٢ ـ نظرية فايربراين للعلاقات بموضوع . Fairbrain,s object relations theory

إن نظرية ماهلر عن العلاقات بموضوع ، تستند إلى افتراض يتفق مع نظرية فرويد والمقصود به ، أن المولود يكون مدفوعاً بالبحث عن المتعة . وفوق ذلك فإن العلاقات مع الموضوع هي لزيادة هذه المتعة. على العكس من ذلك ، فإن المحلل النفسي الاسكوتلاندي و. فايراين (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤) قد وضع نظرية تجريدية صرفة عن العلاقة مع الموضوع. وهو يفترض بأن الناس مدفوعون بالبحث عن موضوع Object seeking وليس بالبحث عن متعة Pleasure seeking ووفقاً لفايربراين (١٩٥٢) فإن الشخصية تنمو من حالة الاعتماد الطفولي إلى حالة الاعتماد الناضج matual Dependence وفي الأخيرة تكون الذات قد تميزت عن الموضوع وهذا ما يتم في ثلاث مراحل :

ـ الاعتماد الطفولي Infantile Dependance .

ـ مرحلة الانتقال Transational stage .

ـ مرحلة الاعتماد الناضج أو الراشد Matual or adult Dependene .

إن الوضع الأساسي عند فايربراين يشبه ما هو عند ماهلر ، حيث أن

النمو يتم من الاعتمادية التكافلية إلى الانفصال ـ التفرد والتشخص ، مع أن هذه الحالة الأخيرة قد أنجزت بطريقة مختلفة.

في نظام فايربراين ، هناك بناء الشخصية الوحيد Single personality stracture تسمى الأنا المركزية Center Ego وهذا الأنا المركزي له طاقته الليبيدية الموجهة نحو إنشاء علاقات مع الموضوع (أكثر منه تخفيض للتوتر) إذا كانت العلاقات مع الموضوع أو الموضوعات الخارجية مشبعة فإن الأنا المركزي يبقى بشكل كامل. وإذا لم يتحقق الإشباع من خلال هذه العلاقات فإن الأنا المركزي سيعوض عن هذا الحرمان ، بعملية إدخال للموضوع. والنتيجة هي انشطار وقسمة الأنا المركزي.

إن الأنا المنشطرة والمجزئة ، مفهوم رئيسي ومركزي في نظرية فاير براين ، وهذا موضح في الشكل ٤ ـ ٢.

إن علاقة الوليد بأمه علاقة جيدة وسيئة ، مشبعة وغير مشبعة. وكذلك ، فإن مظاهر عدم الإشباع تتضمن تجربتين مختلفتين الأولى ، وتشمل الرفض Rejection والحرمان Deprivation والثانية ، وتشمل الرفض مع بعض الأمل والتفاؤل Rejection with some hope. إن المولود ينظر إلى والدته بطرق ثلاثة :

١ ـ أم مشبعة Gratifying mother.

٢ ـ أم رافضة Rejecting mother.

٣ ـ أم انفعالية واعدة (تعد طفلها) Enticing Cpromizing mother.

ويشعر كل الأطفال بالحرمان والإحباط فيما يتعلق بوالدتهم. وللتعامل والتكيف ، فإن الأم الحقيقية الخارجية يتم إدخالها وتمثلها كصور عقلية Mental Images واستناداً إلى الطرق الثلاثة التي ينظر من خلالها الطفل لأمه ، هناك ثلاثة موضوعات يتم إدخالها وتمثلها :

١ ـ الموضوع المثالي Ideal object (الأم المشبعة).

٢ ـ الموضوع الرافض rejecting object (الأم الحارمة أو غير المشبعة).

٣ ـ الموضوع الإثاري المهيج exciting object (الأم التي تعد ـ وتوعد).

بينما يتم إدخال وتمثل الموضوعات المثيرة والرافضة فإن جزءاً من الأنا المركزي ينقسم وينشطر ويرفذ تلك المدخلات الأنا المرتبطة بالموضوع الاستثاري المهيج يسمى الأنا الليبيدية والجزء الذي ينظم إلى الموضوع الرافض يسمى الأنا غير الليبيدي.

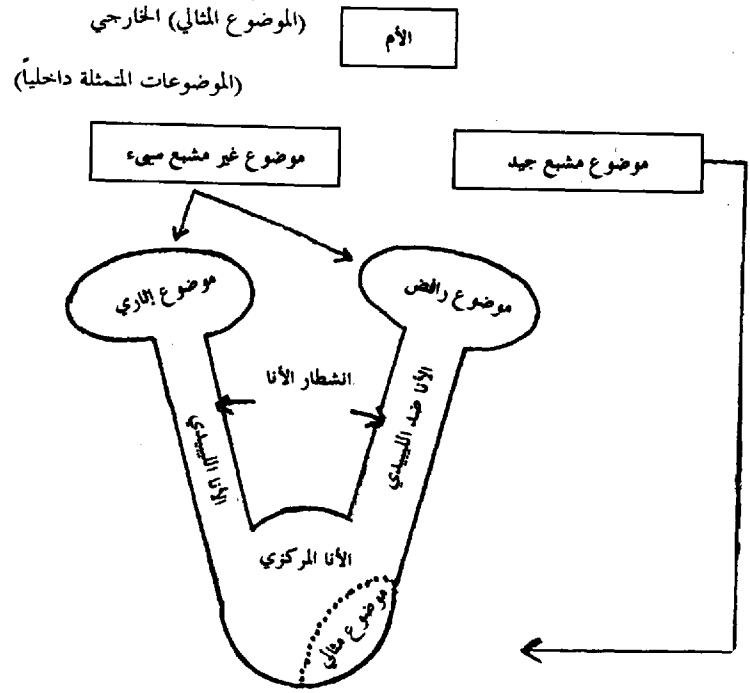

الشكل ٤ ـ ٢ يمثل المخطط النموذجي لمفهوم فاير براين عن انشطار الأنا.

والنتيجة أن الأنا المركزي سوف لا يطول بقاؤه بدون تكامل شامل. بعض من الأنا غير متيسر للعلاقات الصحيحة مع الموضوعات الخارجية والواقعية (هنا يوجد توازي مع مفهوم فرويد عن جهاز الطاقة المغلق والتثبيت) تحدث بعض العمليات المختلفة مع الموضوع المثالي ويصبح

منسجماً مع الأنا المركزي ولكن كجزء منه. والموضوع الثاني لا يجزء الأنا المركزي لأنه ثابت معه. كما أن التمثلات الداخلية للإشباع والمظاهر المطمئنة للأم ، هي الموضوع المثالي كهدف يسعى نحوه الأنا المركزي.

إن الحالة التي تجزأ بها الأنا المركزي ، تمثل مرحلة الاعتماد الطفولي الكبير على الموضوع وبذلك يصبح الموضوع جزءاً رئيسياً من الشخص. وهنا لا يوجد تمييز بين «أنا» و«لست أنا» وحتى مع النمو اللاحق فإن العملية مرتبطة برفض ونبذ كل الأجسام الغريبة التي تم تمثلها واستيعابها ، والتي ليست جزءاً منه (Eagle 1984) وعندما يتم نبذ الموضوعات التي تم تمثلها فإن الليبيدو يكون حراً حتى يتم توظيفه في العالم الخارجي مع أناس حقيقيين أكثر منه مع موضوعات متمثلة ومستوعبة عقلياً.

وهذا ما يميز الاعتمادية الناضجة. هذه الاعتمادية تتضمن القدرة على أن يكون الشخص متميزاً وفريداً وقادراً على إقامة علاقات تعاون مع مختلف الناس الآخرين.

إن نظرية فاير براين يهتم بشكل رئيسي بالعمليات الدفاعية ونمو الأمراض النفسية فتجزئة الذات هو عملية دفاعية Defensive Process للتعامل والتكيف مع مظاهر عدم الإشباع الوالدي ، وبذلك يُدخل المولود هذه المظاهر متمثلاً إياها بحيث يسهل التعامل معها. وعندما يواجه الطفل حالة سيئة ويخبرها في الواقع مع والديه ، فإنه سيعي بشكل مؤلم عدم قدرته على فعل أي شيء حول ذلك. فإذا كانت الحالة السيئة التي اختبرها قد تم تمثيلها داخلياً ، فإن للطفل فرصة للتأثير عليها. وإذا لم ينمو الشخص أكثر من مرحلة الاعتماد الطفولية ، فإن ظهور الاضطرابات النفسية سيحدث. وهذه الاضطرابات تتضمن تذكر الروابط القديمة والآمال التي تم تمثلها للموضوعات الخارجية بشكل داخلي. وهذا إشارة للخلل والاضطراب في العلاقات مع الآخرين. إن السلوك السوي يتطلب

اعتمادية ناضجة ، وهذه الحالة يتم تحقيقها من خلال التخلي Relinguishe عن الموضوعات الداخلية وتبديلها بموضوعات حقيقية Real objects. إن طريقة فاير براين للعلاج بالتحليل النفسي قد استهدفت إعادة قدرة الفرد على إقامة علاقات مثمرة وذات معنى مع الآخرين.

* * *